

۱۷



صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ بَرَزَا خَطْبُهَا

الجزء الثاني

حكمة زواج النبی ﷺ منها

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد

بريشة : ا. عبد الشافي سيد

إشراف : ا. حمدي مصطفى

كلية الشريعة الإسلامية جامعة القاهرة

تزوج الرسول ﷺ من صفية بنت حبي بن أخطب اليهودية الأصل ، بعد أن أسلمت وحسن إسلامها ، وبرغم سعادة المسلمين بهذا الزواج الإنساني ، فقد أبدوا خوفهم على رسول الله ﷺ منها ، حيث خشوا أن تدبر له حيلة تتخلص بها منه انتقاماً لأهلها وقومها .

ففي تلك الليلة التي دخل فيها الرسول ﷺ بزوجه صفية ، ظل أبو أيوب الأنصاري ، بالقرب من منزل الرسول ﷺ وهو يحمل سيفه ، فلما أصبح الرسول ﷺ سألته في دهشة :

مالك يا أبا أيوب ؟

فأجاب :

— يا رسول الله ، خفتُ عليك من هذه المرأة ، قد قتلت أباهاً وزوجها وقومها ، وكانت حديفة عهد بكفر فخفتها عليك .
فدعا الرسول ﷺ لأبي أيوب وقال :

— اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني !

ثم أمره بالانصراف بعد أن أشاد بصدق صفية وحسن إسلامها .

وقد تأكد الرسول ﷺ بنفسه من حب صفية بنت حيي له وخوفها عليه من اليهود في تلك الليلة التي تزوجها فيها .
ففي أثناء عودتها مع الرسول ﷺ أراد أن يقيم ليلة العرس في مكان قريب من ديارها فأبى صفية ذلك ،



حتى إن الرسول ﷺ أغضبه ذلك ، فلما اقتربا من المدينة ووصل النبي ﷺ إلى داره ، تزينت صفية على أحسن ما يكون ، وأقام لها الرسول ﷺ ليلة عرس تليق بها .

وخطر للرسول ﷺ أن يئانها عن سبب رفضها النزول في الدار التي أعدها أولاً فقال لها :

— ما حملك على الامتناع من الثرور أولاً ؟

فقال صفا:

— حَشَيْتُ عَلَيْكَ مِنْ قُرْبِ الْيَهُودِ .

فَزَادَ ذَلِكَ مِنْ حُبِّهَا فِي قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَأَكَّدَ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِهَا وَاتِّبَاعِهَا لَهُ .

ولما سأل النبي ﷺ زوجته عائشة عن رأيها في صفين قال لها :

- كيف رأيت يا عائشة ؟

فقالت عائشة :

١- راية يهودية :

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« لَا تَقُولِي ذَلِكَ ، فَإِنَّهَا أَسْلَمَتْ وَحَسَنَ إِسْلَامُهَا .

وَلَيْسَ بَعْدَ شَهَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَهَادَةٌ ، فَهُوَ لَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَى ، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيَ يُوحَى .

وَلِذَلِكَ لَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَتَأَلَّمُ كَثِيرًا إِذَا أَغْضَبَتْ
إِحْدَى نِسَائِهِ صَفِيَّةَ بِنْتُ حَبِيبٍ وَذَكَرَتْهَا بِأَصْلِهَا الْيَهُودِيَّ .



ففى إحدى الغزوات ، اصطحب الرسول ﷺ صفية بنت حنن وزينب بنت جحش ، وفى الطريق اعتل بعير صفية ، وكان مع زينب بنت جحش بعيران ، فقال لها النبى ﷺ :

- إن بعيراً لصفية اعتل ، فلو أعطيتها بعيراً ؟

فقالت زينب :

- أنا أعطى تلك اليهودية !

وعضب الرسول ﷺ حين سمع هذه الكلمة من زينب ، ونهاها عن التلطف بها مرة أخرى ، ولم يكتب ﷺ بذلك بل ظل ناركا دار زينب ثلاثة أشهر كاملة لا يأتىها بسبب ما قالت فى حق صفية (رضى الله عنها) .

وعاشت صفية (رضى الله عنها) فى بيت النبى ﷺ سعيدة راضية ، ووجدت فى الرسول ﷺ الزوج والأب والأخ ، وفوق هذا كله وجدت فيه الرسول الإنسان ، الذى يفيض على من حوله بالحب والعطف ، ويتألم لألام الناس ، ويأسى لجراحهم ، ولعله قد تألم لما حدث لها ففرق

لها قلبه الكبير وأغدق عليها من حبه وعطفه .

وسعد الرسول ﷺ بصفية ، فقد كانت امرأة صالحة
شديدة الذكاء والفطنة ، بدل كلاسها على براعتها وذكائها
الشديد .

ففي أول يوم رآها فيه الرسول ﷺ قال لها :

— ثم يزل أبوك من أشد الناس عداوة لي حتى قتلته .



فَقَالَتْ :

— يا رسول الله ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ :

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [سورة الإسراء : ١٥]

فَلَمَّا خَبَرَهَا الرَّسُولُ ﷺ بَيْنَ الْعِتْقِ أَوْ الْبَقَاءِ مَعَهُ قَالَتْ :

— بَلْ اخْتَارَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ .

وَلَا حَظَّ الرَّسُولُ ﷺ أَثَرُ لَطْمَةٍ قَدِيمَةٍ عَلَى وَجْهِهَا فَسَأَلَهَا

عَنْ ذَلِكَ ، فَقَصَّتْ عَلَيْهِ صِفَةَ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَتْهَا مِنْذُ أَعْرَافٍ ،

إِذْ رَأَتْ قَصْرًا وَقَعَ فِي حِجْرِهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ وَقَصَّتْ عَلَى

أُمِّهَا الرُّؤْيَا قَالَتْ لَهَا :

— مَا هَذَا إِلَّا أَنْكَ تَنْطَلِعِينَ إِلَى مَلِكِ الْعَرَبِ مُحَمَّدٍ .

ثُمَّ لَطَمَتْهَا عَلَى وَجْهِهَا لَطْمَةً قَوِيَّةً تَرَكَتْ هَذَا الْأَثَرَ عَلَيْهِ ،

وَنَظَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى صِفَةِ فِي شَفَقَةٍ ، وَقَدْ أَسْعَدَهُ مَا قَالَتْهُ

لَهُ ، وَأَشْرَقَ وَجْهُهُ ﷺ بِابْتِسَامَةٍ رَاحِيَةٍ .

لَقَدْ أَشَاعَتِ السَّيِّدَةُ صِفَةَ الْبَهْجَةِ وَالسَّعَادَةِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ،

فقد كانت بارعة في الحديث ، شديدة الذكاء والفطنة ،
كما كانت جميلة الخلق والخلق .

قالت عنها ما شطتها :

« ما رأيتُ بين النساء أجملَ منها .

وحاولت صغية أن تكفر عن ذنوبها السابقة ، فراحَتْ
تتقربُ إلى الله بالطاعات والأعمال الصالحة ،



وكان ماضيها وماضي أسرتها وأهلها في محاربة الإسلام
أمراً يلقبها للغاية ، وكم عنت أن يمحي عنها هذا التاريخ
وهذا النسب الذي لا يشرقها ، حتى لا يجد أحد في ذلك
فرصة للطعن في دينها وإسلامها .

لكن الرسول ﷺ ، كان يخفف عنها هذا الشعور ، فهي
وإن كانت تنتمي إلى اليهود ، فقد كان جدّها هارون عليه السلام
يهودياً ، كما كان عمّها موسى عليه السلام نبياً عظيماً ، فلماذا
لا تنتسب إلى هؤلاء الأنبياء العظماء بدلاً من حقنة من
الأضرار ؟

جلست صفيّة مع عائشة وحفصة ذات يوم ، فقالا لها
كلاماً أغضبها ، حيث ذكرا لها أصلها اليهودي ، ولما دخل
عليها الرسول ﷺ رآها تبكي فسألها عن سبب بكائها
فقالت :

- ذكرت عائشة وحفصة أنهما خير مني لأنني كنت امرأة
يهودية !

وأرصى هذا الكلام صفة (رضى الله عنها) ، ونزل
على قلبها برذاً وسلاماً ، فحمدت ربها على ذلك ، وظل
لسانها يردد كل حين في افتخار :

- زوجي محمد ، وأبي هارون ، وعمي موسى !

ومنذ أن عرفت صفة الإسلام وذاق قلبها حلاوة الإيمان ،
وهي تخلص للرسول ﷺ وتحمه حمياً شديداً ، فقد كان ﷺ
بأخلاقه الرائعة سبباً في إسلامها .

وفي مرض الرسول ﷺ الأخير الذي مات فيه ، عثرت
صفة عن شعورها الصادق تجاه زوجها ورسولها ﷺ . فقد
دخلت على الرسول ﷺ وهو جالس بين بعض نسائه ،
فراحت الألم يشتد عليه ، فبكت بكاء حاراً ، وقالت :

- إني والله يا سيّ الله ، لو ددت أن الذي بك كان بي .

فنظرت مساء النبي ﷺ إلى مصهين ، كاهن غير
مصدقات ما تقوله صفة ، فغضب الرسول ﷺ من
تعاظمهن بها وقال لهن :

والله ، إنها لصادقة .

وبعد وفاة الرسول ﷺ ، وفي خلافة عمر بن الخطاب ،
أرادت جارية لصفية (رضى الله عنها) أن توقع بينها وبين
أمير المؤمنين فذهبت إليه وقالت له :

— إن صفية تحب السبب ، وهو يوم احتفال اليهود ،
وتصدق على اليهود وتصلهم بأموالها .



وبعثَ عمرُ بنُ الخطابِ إلى صفية (رضى الله عنها)
وسألها عن ذلك فقالت :

— أما السبتُ ، فإنى لم أحبه منذ أبدلتنى الله به الجمعة ،
أما اليهودُ فإن لى فيهم رجلاً ، فأنا أصلها .

وسألت صفية (رضى الله عنها) جاريته التى كانت
تحسن إليها :

— ما حملك على هذا ؟

فقالت الجارية وهى تظهر ندمها :

— الشيطانُ .

فقالت لها صفية :

— اذهبي ، فأنت حرة .

— لقد كانت السيدة صفية بنت خنيسَ بنِ أخطبَ يهوديةً
ذات يوم ، وكان أهلها جميعاً يضمرون العداء والكراهية
للمرسول ﷺ ، لكن الله (تعالى) شاء لها الهداية ،

وَأَنعَمَ عَلَيْهَا بِأَن صَارَتْ زَوْجَةً لِلرَّسُولِ ﷺ ، وَكَانَ هَذَا
 الزَّوْاجُ نَبِيلاً لِّمَعْنَى الْكَلِمَةِ ، وَكَانَ تَوْقِيعُهُ مُوَلِّقًا لِلْعَايَةِ ،
 حَيْثُ أَخْرَجَ صَفِيَّةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) مِنَ الظُّلُمَاتِ وَالْيَأْسِ
 وَالْكَفْرِ إِلَى رَحَابَةِ الْإِيمَانِ وَسَمُوهُ تَعَالِيَهُ .



ونالت صفة (رضى الله عنها) رضا الرسول ﷺ ،
فشهد لها بحسن الإسلام والصدق ، ولذلك فقد روى عنها
كثير من العلماء ، حيث روى عنها ابن أخيها كنانة ،
ومولاهما يزيد بن معتب ، وزين العابدين علي بن الحسين ،
واسحاق بن عبد الله بن الحارث بن مسلم بن صفوان .

وفي العام الثاني والخمسين للهجرة ، وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان ، توفيت صفية (رضي الله عنها) ، رحمها الله رحمة واسعة ، ونفع أمهاتنا ونساءنا وبناتنا بسيرتها العطرة .

(تعب)

2020

أم حبيبة رمة بنت أبي سفيان (١) الاختيار الصعب

[illegible]

1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 2679, 26